وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

تاريخ الإضافة: 2008/01/11م

تحقيق الوسطية ودفع الغلو

د.صالح السدلان

معنى الغلو في اللغة : العلم بحقائق الأشياء والوعي بمعانيها يعد مدخلا أساسيا لتصورها ، وفي المأثور من أقوال أسلافنا : الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، وقد عني العلماء المسلمون بالألفاظ الشرعية والمصطلحات اللغوية وحرصوا على تحديدها ، حيث إن مصدر العلم بمعنى قول الشارع يرجع إلى أمرين : اللغة التي تكلم بها ، ومقصود الشارع من الألفاظ ، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني ، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب ، فإنهم يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك .

ومن الألفاظ والمصطلحات التي يحتاج إلى فهمها الشرعي ومعناه اللغوي وفهم مراد الشارع منها (لفظ الغلو) إذ لا بد في فهمه من الرجوع إلى معيار ثابت إذ لو أوكلت القضية إلى البشر لأصبحت نسبية بحسب اختلاف أهوائهم ومشاربهم وانتمائهم ، واتباع الهوى يؤدي إلى اختلاف غير متناه وفساد غير منقض .

فثبات المعيار الذي ينظر بواسطته وتفهم الحقائق في ضوئه أمر لا محيد عنه .

وإليك معنى الغلو لغة ، ومفهومه شرعا .

الغلو لغة : تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى واحد يدل على مجاوزة الحد والقدر ، قال ابن فارس : " الغين واللام والحرف المعتل " أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

يقال غلا غلاء فهو غال ، وغلا في الأمر غلوا أي جاوز حده ، وغلت القدر تغلي غليانا ، وغلوت بالسهم غلوا إذا رميت به أبعد مما تقدر عليه ، فالغلو : هو مجاوزة الحد ، يقال : غلا في الدين غلوا تشدد وتصلب حتى جاوز الحد .

وبالرجوع إلى المصادر والمعاجم اللغوية تبين أن الغلو هو : مجاوزة الحد وتعديه .

* قال الجوهري في الصحاح :

" غلا في الأمر يغلو غلوا ، أي جاوز فيه الحد " اهـ .

* وقال الفيروز آبادي في القاموس :

" غلا غلاء فهو غال ، وغلي ضد الرخص . وغلا في الأمر غلوا جاوز حده " اهـ .

وغلا في الدين والأمر يغلو غلوا ، جاوز حده .

* وقال الفيومي في المصباح المنير :

" . . . وغلا في الدين غلوا من باب قعد : تصلب وتشدد حتى جاوز الحد ، وفي التنزيل : { لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } وغالى في أمره مغالاة : بالغ " اهـ .

* مما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعمالاته يدل على الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعي أو الحد المعتاد .

الألفاظ ذات الصلة بالغلو : أ – التطرف : وهو تفعل من الطرف ، ومن قولهم للشمس إذا دنت للغروب تطرفت . ومن تجاوز حد الاعتدال وغلا يصح لغويا تسميته بالمتطرف ، جاء في المعجم الوسيط مادة طرف :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

تطرف : " جاوز حد الاعتدال ولم يتوسط " .

ب – التنطع : وهو مأخوذ من النطع ، وهو الغار الأعلى في الفم الذي يظهر عندما يتعمق الإنسان ويتشدق ، ثم استعمل في كل تعمق سواء أكان في القول أم الفعل (1) .

ج – التشدد : وهو دال على القوة والصلابة " فالشين والدال أصل يدل على قوة في الشيء " ، والمشادة المغالبة والمقاومة ، والمشادة في الشيء التشدد فيه (2) .

د – العنف : العين والنون والفاء أصل صحيح يدل على خلاف الرفق والعنيف : الشديد من القول والفعل .

وبالنظر إلى هذه الألفاظ تجد تقاربا بينها وبين الغلو ، فهي بمثابة أوصاف ومظاهر للغلو . وكلها ما عدا التطرف قد وردت في النصوص الشرعية في الكتاب والسنة .

مفهوم الغلو في الشرع

في ضوء النصوص السابقة يمكن تحديد معنى الغلو في الشرع والضوابط التي تحدد المعنى ، وتحد من تركه معنى نسبيا متغيرا بتغير الأحوال والأشخاص .

وقبل بيان ذلك أعرض بعض تعاريف أهل العلم للغلو :

– قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " الغلو : مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده ، أو ذمه ، على ما يستحقه ونحو ذلك " (3) ، وبنحو هذا التعريف عرفه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (4) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

2- وعرف الحافظ ابن حجر الغلو بأنه " المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد " (5) ، وبمثل هذا التعريف عرفه الإمام الشاطبي (6) .

وهذه التعاريف كلها متقاربة ، وتفيد أن الغلو هو : تجاوز الحد الشرعي بالزيادة .

و" الحدود : هي النهايات لما يجوز من المباح المأمور به ، وغير المأمور به " (7) .

ويزيد الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الأمر وضوحا فيحدد ضابط الغلو ، فيقول : " وضابطه تعدي ما أمر الله به ، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله : { وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي } (8) ، (9) .

وذلك لأن الحق واسطة بين الإفراط والتفريط ، يقول عمر بن عبد العزيز في كتاب أرسله إلى رجل يسأله عن القدر " . . وقد قصر قوم دونهم فجفوا ، وطمح عنهم أقوام فغلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم " .

وقال الحسن : " سننكم والله الذي لا إله إلا هو بينهما ، بين الغالي والجافي (10) .

وقد قرر العلماء أن الحق واسطة بين التفريط والإفراط ، وهو معنى قول مطرف بن عبد الله : (الحسنة بين السيئتين) (11) ، وبه تعلم أن من جانب التفريط والإفراط فقد اهتدى (12) .

ويمكن أن نتبين ملامح الغلو في ضوء النصوص الشرعية وتصنيفه بحسب متعلقه إلى ما يلي :

1- أن يكون الغلو متعلقا بفقه النصوص ، وذلك بأحد أمرين :

أ – تفسير النصوص تفسيرا متشددا يتعارض مع السمة العامة للشريعة ، ومقاصدها الأساسية فيشدد على نفسه ، وعلى الآخرين .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ب – تكلف التعمق في معاني التنزيل لما لم يكلف به المسلم ، ومن هنا نشأت الفرق كلها أو أكثرها (13) .

2– أن يكون الغلو متعلقا بالأحكام ، وذلك بأحد أمرين :

أ– إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله عز وجل عبادة وترهبا ، وهذا معياره الذي يحدده الطاقة الذاتية ، حيث إن تجاوز الطاقة وإن كان بممارسة شيء مشروع الأصل يعتبر غلوا ، كما يتضح ذلك من قصة زينب رضي الله عنها ، وقصة أبي إسرائيل رضي الله عنه . والقضية في هذا نسبية مناطها قدرة الشخص ومدى تحمله ، يقول الإمام الشاطبي : " الفرق بين المشقة التي لا تعد مشقة عادة ، أو التي تعد مشقة ، هو أنه إن كان العمل يؤدي الدوام عليه إلى الانقطاع عنه ، أو عن بعضه ، أو وقوع خلل في صاحبه في نفسه ، أو ماله ، أو حال من أحواله ، فالمشقة هنا خارجة عن المعتاد ، وإن لم يكن فيها شيء من ذلك في الغالب فلا يعد في العادة مشقة " (14) ، وطاقات الناس مختلفة ، وقدراتهم متفاوتة فمن ألزم نفسه فوق طاقتها ، أو أدى استمراره على العمل إلى انقطاع عنه أو عن أعمال شرعية أخرى من الحقوق المتعلقة بالإنسان فقد غلا .

ب . تحريم الطيبات التي أباحها الله عز وجل على وجه التعبد ، فهذا من الغلو كما يتضح ذلك من بعض روايات حديث النفر الثلاثة حيث حرم بعضهم على نفسه أكل اللحم .

ج . ترك الضرورات أو بعضها ، وذلك كالأكل والشرب والنوم والنكاح ، فتركها يعتبر غلوا ، ويتضح ذلك من قصة النفر الثلاثة أيضا (15) .

3– أن يكون الغلو متعلقا بالموقف من الآخرين حيث يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي الذي يوصل ممدوحه إلى درجة العصمة .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويقف من البعض الآخر موقف الذام الغالي الذي يصم مخالفه بالكفر والمروق من الدين ، مع أنه من أهل الإسلام .

فيتضح مما سبق أن :

أ . الغلو في حقيقته حركة في اتجاه القاعدة الشرعية والأوامر الإلهية ، ولكنها حركة تتجاوز في مداها الحدود التي حدها الشارع (16) ، فهو مبالغة في الالتزام بالدين ، وليس خروجا عنه في الأصل ، بل هو نابع من الرغبة في الالتزام به .

ب . الغلو ليس دائما فعلا بل يدخل في الترك أيضا ، فترك الحلال وتحريمه ضرب من ضروب الغلو ، هذا إذا كان على سبيل التدين ، والالتزام بالدين .

ج – نسبة الغلو إلى الدين بقوله (الغلو الديني) أو (التطرف الديني) تجوز في العبارة إذ الغلو إنما هو أسلوب التدين لا الدين نفسه (17) ، ولذلك جاء التعبير القرآني يقول { لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } وقال صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ » .

د – الحكم على العمل بأنه غلو يجب أن يتأنى فيه ، وينظر إلى العمل بدقة ، فقد يحكم عليه بأنه غلو مع أنه سليم ، ولكن الوسيلة إليه قد تكون من باب الغلو ، فيقع الخلط من هذا الباب .

هـ – ليس من الغلو طلب الأكمل في العبادة ، ولكن من الغلو الإثقال على النفس إلى درجة الملل ، قال بعض العلماء : " وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة ، فإنه من الأمور المحمودة ، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل " (18) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ز – ليس من العدل أن تصف إنسانا بالغلو ؛ لأنه التزم رأيا فقهيا متشددا – من وجهة النظر المخالفة – إذا كان التزامه بناء على أمرين :

– اجتهاد سائغ شرعا لمن بلغ درجة الاجتهاد .

– تقليد لعالم شرع موثوق في دينه وعلمه لمن لم يبلغ درجة الاجتهاد وتوفر أحد هذين الشرطين دليل على صحة الالتزام وخلوه من اتباع الهوى ، ذلك أن متبعي الحق يفعلون ما يؤمرون به من حسن القصد ، والاجتهاد لمن قدر عليه ، أو التقليد لمن لم يقدر على الاجتهاد ، ثم الأخذ في العمل بما قام الاعتقاد على صحته ، وبعكس ذلك أهل الأهواء فإنهم { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } ، ويجزمون بما يقولون بالظن والهوى جزما لا يقبل النقيض مع عدم العلم ، فيعتقدون ما لم يؤمروا باعتقاده ، ويقصدون ما لم يؤمروا بقصده ، ويجتهدون اجتهادا غير مأذون فيه ، وهم بذلك مسيئون متعرضون لعذاب الله ، مع العلم أنه قد يقترن بالهوى شبهة فيصبح حقيقا بوصف الإساءة أيضا (**19**) .

حقيقته :

لما كان المعنى الاصطلاحي يقوم على المعنى اللغوي ، ويخصص عموم إطلاقه ، رجعنا إلى النصوص الواردة في الغلو من الكتاب والسنة .

فمن الكتاب :

قوله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ } .

– فقد قال القرطبي في تفسيره **6 / 21** لما ذكر المعنى اللغوي :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

" ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون : غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم ، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربا ، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر . ولذلك قال مطرف بن عبد الله : الحسنة بين سيئتين . وقال الشاعر :

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

" اهـ .

وكذا قال جمع من المفسرين منهم : ابن جرير في جامعه 4 / 46 ، والبغوي في معالم التنزيل 2 / 313 ، وابن كثير في تفسيره 1 / 589 ، وأبو حيان في بحره 3 / 400 ، والزمخشري في كشافه 1 / 351 .

والمفهوم من هذه الآية { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ } عمومها لجميع أهل الكتاب من يهود ونصارى ؛ إذ العبرة بعموم اللفظ ودلالة السياق تدل عليه أيضا ، فإن النصارى زادوا وجاوزوا الحد في نبي الله عيسى فرفعوه عن منزلته ، وإن اليهود جفوا وفرطوا في حقه فغلوا في الجفاء والتفريط وزادوا فيهما ، حتى قذفوا أمه الطاهرة العذرية ، بما برأها الله تعالى منه .

ومن احتج على خصوص الآية بالنصارى بتقدم سياق الآيات السابقة لها في اليهود ، وهذه الآية آخرها يدل على قول النصارى وكفرهم ، وزعمهم بالأكاذيب الثلاثة ، فيجاب عليه بما سبق من عموم لفظة أهل الكتاب ، وانصرافها إلى اليهود والنصارى ما لم توجد قرينة ولم توجد ، وباستمرار السياق في بني إسرائيل في هذه الآية وما قبلها يدل على العموم من اليهود والنصارى ؛ إذ كل منهم غلا في دينه كما سيأتي تحديد الغلو ، وقول كل منهم على الله غير الحق ، فليس عيسى ربا أو ابنا لله ، أو ثالث ثلاثة – وليس هو ابن فحش وزنا وبغاء

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

.

ثم إن آخر الآية يختص بالنصارى من قول الله تعالى : { وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ } وذلك لعظم جرمهم في التوحيد لأن عيسى نبيهم وهاديهم إلى الفطرة السليمة والملة القويمة ، وأنهم هم من ادعوا فيه تلك الدعوى الظالمة ، فكان آخر الآية مخصوصا بالنصارى لذلك .

ومنه آيات عديدة جاءت في النهي عن الطغيان ، وهو غلو في الغي كما قال تعالى في آخر سورة طه لبني إسرائيل : { وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي } [طه : 81] ، وقوله عن فرعون وملئه في غير ما آية : { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } [النازعات : 17] ، وقال عن الخاسر صاحب الجحيم : { فَأَمَّا مَنْ طَغَى }{ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } [النازعات : 37 ، 38] الآية ، وقال في آخر سورة هود : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [هود : 112] .

ومن السنة : ما رواه أحمد بإسناده عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَغْلُوا فِيهِ ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ »

* وحديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ : « الْقُطْ لِي حَصًى ، فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُنَّ فِي كَفِّهِ وَيَقُولُ : " أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ فَارْمُوا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ » . رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وغيرهم (20) .

* وفي حديث أبي هريرة في البخاري مرفوعا : « لَنْ يُنَجِّي أَحَدًا عَمَلُهُ ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

" وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاغْدُوا وَرُوحُوا ، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا » (21) .

* فمما سبق يتبين أن الكتاب والسنة يخصصان عموم اللغة ، وأن الغلو هو : " الإفراط في مجاوزة المقدار المعتبر شرعا في أمر من أمور الدين " .

الكتاب : بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو

---

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ج 5 ، ص 74 .

(2) أساس البلاغة للزمخشري مادة شدد .

(3) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، ج1 ، ص 289 .

(4) تيسير العزيز الحميد ص 256 .

(5) فتح الباري ج13 ، ص 278 .

(6) الاعتصام ، ج3 ، ص 304 .

(7) ابن تيمية ، الفتاوى ج3 ، ص 362 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(8) سورة طه ، آية 81 .

(9) تيسير العزيز الحميد ص 256 .

(10) رواه الدارمي ج1 ، ص 63 .

(11) نص قوله هو : (خير الأمور أوسطها ، الحسنة بين السيئتين ، وشر الأمور الحقحقة) ، ينظر ابن رجب الحنبلي ، المحجة في سير الدلجة ص 18 .

(12) الشنقيطي ، أضواء البيان ج1 ، ص 494 .

(13) الشاطبي ، الموافقات ، ج2 ، ص 89 .

(14) الموافقات ج2 ، ص 123 .

(15) ينظر كمال أبو المجد ، التطرف غير الجريمة ص 36 –37 .

(16) المصدر السابق .

(17) ينظر محمد سعيد العشماوي « التطرف في الدين وأبعاده » مجلة المنار ، عدد 36 ، ص 81 .

(18) ابن المنير ، نقلا عن ابن حجر ، فتح الباري ج1 ص 94 .

(19) ينظر ابن تيمية ، الفتاوى ، ج29 ، ص 43 .

(20) رواه أحمد في المسند كما في الفتح الرباني 12 / 169 ، كتاب الحج والعمرة – باب سبب مشروعية رمي الجمار وحكمها ، ورواه النسائي – كتاب المناسك – باب قدر حصى الخذف ، وكذا ابن ماجه في باب التقاط الحصى . * ورواه الحاكم في مستدركه 1 / 466 وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه عليه . * وقال النووي في المجموع 8 / 127 : صحيح رواه البيهقي بإسناد حسن صحيح وهو على شرط مسلم رواية عبد الله بن عباس عن أخيه الفضل . ورواه النسائي وابن ماجه بإسنادين صحيحين ، إسناد النسائي على شرط مسلم . اهـ . وذكره ابن حجر في التلخيص الحبير 7 / 387 حيث حقق من كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم ، والتقط له الحصى : عبد الله أم الفضل وصوّب أنه الفضل – وهو تحقيق نفيس ، وكذا كلام النووي السابق ، وفي فتح الباري 13 / 291 : . وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من طريق أبي العالية عن ابن عباس . وقال شيخ الإسلام في الوصية الكبرى : هو حديث صحيح . ونقل عنه الشيخ صالح البليهي رحمه الله السلسبيل في معرفة الدليل 1 / 367 أنه قال : على شرط مسلم . ولم أقف عليه .

(21) رواه البخاري في كتاب الرقاق بهذا اللفظ ، باب القصد والمداومة على العمل . وأخرجه أيضا الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين – باب لن يدخل الجنة أحد بعمله برقم 2816 .

This file was downloaded from QuranicThought.com